(١٧) وا إســـلاماه

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

استمرار الغارة على الإسلام:

لا زال المسلسل مستمراً.. مسلسل الإبادة للمسلمين. الأمة الإسلامية فى شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، تتعرّض لحرب - بل لحروب - إبادة من كلّ الفئات الكافرة، على اختلاف أسمائها، واختلاف أديانها، واختلاف ألوانها.

تتعرّض أمّة الإسلام لحروب إبادة على كل المستويات ومن كلّ الجهات: إبادة مادية، وإبادة معنويّة. إبادة على مستوى الدين والعقيدة، وإبادة على مستوى الفكر والثقافة، وإبادة على مستوى المادّة والجسد، كلّ الفئات المشركة والكافرة تجمعّت على أمّة الإسلام.

حرب الإبادة الدينية:

هناك إبادة دينية، يريدون أن يخلعوا هذه الأمّة عن دينها، أن يسلخوها من جلدها، أن يلغوا هُويتّها وشخصيتّها، أن لا يبقى على الأرض من يقول (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله).

هذا ما نراه بأعيننا، وهذا ما نلمسه بأيدينا، وهذا ما نسمعه بآذاننا، وهذا ما نقرأه فى كلّ مكان.

هناك حملات التنصير التى تريد اقتلاع الأمّة من جذورها، حملات التنصير المؤيّدة بالمال والعلم والدهاء والتخطيط، ومؤيّدة من ناحية أخرى بغفلة المسلمين، وتفرّق المسلمين.

منذ سنوات عقد فى مدينة (كلورادو) بالولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر للمنصّرين، أو لجماعة منهم، من الأمريكان البروتستانت، مائة وخمسون عُتُلاً من عُتُلاّتهم قدّموا أربعين دراسة. لماذا اجتمعوا؟ أعلنوا هدفهم وقالوا: الهدف

هو تنصير المسلمين فى العالم! وأنشأوا لذلك معهداً سمّوه معهد (زويمر)، باسم أحد العتاة من المبشّرين فى أوائل هذا القرن، كان مقرّه فى البحرين، وهو الذى رأس المؤتمر التبشيرى فى القاهرة سنة (١٩٠٦م). أحيوا ذكراه بإنشاء معهد متخصّص فى تخريج منصرّين للمسلمين خاصّة، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار!.

وتنادينا فى ذلك الوقت، ونادينا المسلمين ودعوناهم فى كلّ مكان أن يهبّوا من نومتهم، ويصحوا من سكرتهم، ليدافعوا عن كيانهم.. عن وجودهم، ويجمعوا ألف مليون دولار، لا لنشر الإسلام فى العالم - كما ينبغى - ولكن للحفاظ على الوجود الإسلامى، وأقمنا من أجل ذلك (الهيئة الخيرية الإسلامية العالميّة) فى الكويت، فماذا جمعنا؟ جمعنا بضعة عشر مليوناً فى عدّة سنوات، وهؤلاء جمعوا الألف مليون فى جلسة من الجلسات.

وتبيّن لى فيما بعد أنّ هذا نشاط إحدى المجموعات، وهناك مجموعات أخرى من بلاد شتّى ومن مذاهب أخر - كاثوليكية وغيرها - جمعت آلاف الملايين من أجل التنصير، ونحن لم نجمع إلاّ بضعة عشر مليوناً.

بذلنا الأموال بعشرات المليارات فى فترة من الفترات للدفاع عن كياننا المادى أو الكيانات الرسمية، وبخلنا بألف مليون.. بنصفه .. بربعه.. بخمسه.. بعشره.. للدفاع عن عقيدة الأمّة!

أين نحن المسلمين؟ أين نحن ممّا يُكاد لنا؟

ربع مليون[1] من دعاة التنصير منتشرون فى العالم، فأين دعاتنا نحن المسلمين؟ عشرات.. مئات.. آلاف؟ لا يبلغون شيئاً أمام ما يصنعه هؤلاء، وهم ينشرون ما بين الحين والحين أنّ التنصير أو التبشير لم يبلغ هدفه.. لم يحقق نجاحا، ونحن نصدّق هذا، والواقع انّهم ينجحون.. ينجحون بالفعل.

فى المنطقة العربيّة هذه حددوا لهم هدفاً من قديم: إنهم لا يحاولون أن

---

(١) هكذا كنت أعتقد فى فترة من الفترات، نتيجة إحصاء قديم جدا عندى ثم أخبرنى الأخ أبو بدر (عبد الله المطوع) فى الكويت: أن المبشرين فى العالم يقدرون بـ(٤٧٥٠٠٠٠) حسب إحصائياتهم المنشورة.

يخرجوا المسلم من الإسلام ليدخلوه فى النصرانية، ولكن بحسبهم أن يشككوه فى الإسلام.. أن يزعزعوا عقيدته.. أن يشوّهوا فكره.. أن ينظر إلى الإسلام باعتباره شيئاً رجعيّاً قديماً لا يليق بهذا العصر.

اكتفوا بهذا فى المنطقة العربية، أمّا خارج هذه المنطقة فإنّهم ينصّرون بالفعل، يتحوّل محمد وأحمد وعبدالله وعبدالرحمن إلى جورج وإلى جون وإلى كذا وإلى كذا. هذا ما رأيناه فى اندونيسيا وما رأيناه فى نيجيريا وما رأيناه فى بلاد شتّى.

لماذا ينشرون إذن أنّهم فشلوا فى تنصير المسلمين؟ ليستدرّوا العطف، لتتدفق عليهم المليارات وراء المليارات. هذا من ناحية، من ناحية أخرى لينوّموا الفريسة.. ليخدّروها.. لنقول: الإسلام بخير. والإسلام تنتقص أطرافه هنا وهناك.

حرب تغيير هُوية المسلمين:

هناك حرب دينية عقدية لتغيير هويّة المسلمين، حرب على مستوى العقيدة، وحرب على مستوى الفكر والثقافة، غزو فكرى استعمارى ثقافى تقوم خلفه مؤسسات ممولّة مخططة موجّهة، تريد أن تمسخ العقول المسلمة، فتجد مسلماً من أبوين مسلمين.. مسلماً من أسرة مسلمة.. مسلماً نشأ فى أرض إسلامية، ومع هذا ينظر إلى الإسلام أنّه شيىء كان فى قديم الزمان، لا يرضى بمحمّد ﷺ ولكن يرضى بكارل ماركس، لا يتجه إلى الكعبة ولكن يتجه إلى واشنطن أو باريس أو لندن أو بكين أو غيرها، يتخذ غير القرآن دستوراً، ويتخذ غير محمد ﷺ أسوة وإماماً. حرب فكريّة أيديولوجيّة ثقافيّة نرى آثارها فى كلّ مكان، جعلت من أبناء المسلمين من ليسوا مسلمين إلاّ بالأسماء.

أين ذلك المسلم الذى رضى بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمّد ﷺ نبياً ورسولا؟ أين هذا من ذلك الذى يسخر من شعائر الإسلام، ويستهزئ

بشـرائع الإسـلام، وبحـدود الله عـزّ وجلّ، وينظر إلى أولئك الذين يدعـون إلى الإسلام أنّهم رجعيوّن أو متطرّفون أو.. أو.. إلى آخر ما يقولون؟

إنها حرب فكرية

حروب عسكرية:

وأكثر من ذلك، هناك حرب ماديّة عسكريّة تقاتل المسلمين في كلّ مكان، تريد تصفيتهم.. إبادة خضرائهم.. أن لا تبقى لهم من باقية. حروب تشتعل نيرانها في أكثر من مكان في أرض الله، ضحاياها المسلمون.

مآسي الأمّة الإسلاميّة ينقطع لها نياط الفؤاد، وتتفتّت لها الأكباد. نسمع نشرات الأخبار في الإذاعة أو نراها في التلفاز أو نقرأها في الصحف، فلانجد إلاّ مآسي المسلمين.. مآسي أمّة محمد ﷺ. أصبحنا نهباً للطامعين والحاقدين من هنا ومن هناك.

هناك حرب يهوديّة صهيونيّة، ولا فرق عندي بين اليهوديّة والصهيونيّة، حرب يهوديّة نراها في فلسطين.. في لبنان.. في عالمنا العربي، ونراها في كل مكان، في كلّ فتنة تجد أصابع اليهود. كلّ فتنة تقع في بلاد المسلمين تجد أصابع اليهود الخفية وراءها.

اليهود الذين عاشوا في أكنافنا وتحت أجنحتنا وفي حمانا قروناً، بعد أن طردهم العالم ولفظهم لفظ النّواة من كل مكان، انقلبوا علينا، وقلبوا لنا ظهر المجن، وأصبحوا يحاربوننا، نحن الذين حميناهم وحفظنا حقوقهم، ويركلوننا بأقدامهم، ويصفعوننا بأيديهم، في كل مكان.

من أجل يهوديّ يقتل- أو يهوديّة تقتل- تقوم الدنيا ولا تقعد، وتثور المظاهرات، ويقف الاسرائيليّون والإسرائيليّات، رجالاً ونساءً، لينتقموا من العرب، ليدمّروا البيوت، ليحرقوا المنازل، ويحرقوا المزارع، ويقتلعوا الأشجار المثمرة. وتفعل هذه الطوائف فعلها، ومعهم الوحدات السّرّية التي تتزيّا بزيّ

العرب لتقتل وتبطش، ووراءهم القوات الإسرائيليّة التي تتحدّى ولا تبال، وتهدّد وتتوعّد، وتبرق وترعد.

فأين نحن؟ أين نحن المسلمين؟ وأين نحن العرب؟ لا نقابل هذا إلاّ بالكلام.. إلاّ بالاحتجاج، إن كان هناك احتجاج.

عدوان عالمي على الإسلام:

اليهوديّة تحاربنا ولا عجب، فهم أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا.

والوثنية تحاربنا، الوثنيّة تحاربنا في الهند.. تحاربنا في كشمير.. تحاربنا في تايلند.. تحاربنا في بورما.. تحاربنا في بلاد كثيرة. الوثنيّة- الذين يعبدون الأوثان أو يعبدون الأشخاص أو يعبدون البقر أو يعبدون ما شاؤوا من آلهة- تحاربنا كما تحاربنا اليهوديّة، وبينهما حلْفُ دنس، كما بيّن ذلك بعض الكاتبين بالوثائق، وصدق الله العظيم: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ [المائدة: ٨٢].

اليهوديّة تحاربنا، والوثنيّة تحاربنا.

والشيوعيّةتحاربنا، حاربتنا في أفغانستان، حاربتنا حينما كانت تحكم اثيوبيا، حاربتنا حينما كانت تحكم بورما، جاريتنا حين كانت تحكم ألبانيا، وحين كانت تحكم الصين الجنوبية.. حاربتنا في أماكن شتّى. ولا عجب أن يحاربنا أولئك الذين ينكرون وجود الله عزّ وجلّ، ويقول دستورهم: (لا إله والحياة مادّة)! التناقض على أشدّه بين من يقول: (لا إله) ومن يقول: (لا إله إلاّ الله).

الشيوعيّة تحاربنا.

والصليبيّة تحاربنا، تحاربنا في أماكن شتّى، الصليبيّة تحاربنا في الفلبين، والصليبيّة تحاربنا في أثيوبيا، والصليبيّة تحاربنا في اريتريا، والصليبيّة تحاربنا في جنوب السودان، والصليبيّة تحاربنا في أوربّا، وآخر حرب للصليبيّة هي حرب

اخوتنا المستضعفين في البوسنة والهرسك، حرب هؤلاء الذين لا حول لهم ولا طول، الذين يعيشون في أوربّا أمّ الحرّيّات وبلاد الحقوق!!

أين حقوق الإنسان؟ أين الحريات؟ أين القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين القادم؟ أين أولئك الذين يغارون على حرمات الإنسان؟ أين هيئة الأمم؟ أين مجلس الأمن؟ أين الذين نسمع أصواتهم في كلّ مكان إلاّ حينما يكون الضحية من المسلمين؟! حينما تكون الضّحيّة من المسلمين يكون الصوت خافتاً! أو يخرس تماما!

أين أمين الأمم المتحدة؟ كنّا نظنّه أنّه سينهض ويخفّ لنجدة هؤلاء حتى لا يتهمه من يتهمه بأنّه أرثوذكسي نصراني يتعصّب لمن هو على دينه ومذهبه، كنّا نظنّ هذا الذي ينتمي إلى الشرق وإلى بلاد العرب: أن يكون عنده الموضوعيّة والحياد والنخّوة، ويتعامل من منطق عادل، ويبعث ببعض القوّات إلى هؤلاء المستضعفين، ولكنّه بالعكس يحذّر مجلس الأمن من إرسال قوّات إلى تلك المناطق!! يا عجباً.

نحن المسلمين أصبحنا المستهدفين لكلّ من يضرب ولكلّ من يطعن ولكلّ من يرمى، ما السرّ في هذا كلّه؟

ما السرّ أن نرى إخواننا يجرى عليهم ما يجرى ممّا يبكى العيون دمعاً بل دماً؟ كلّ من رأى تلك المشاهد الدامية: برك الدماء.. الجثث المشوّهة.. الرقاب المقطوعة.. الرؤوس المرميّ بها.. إمام المسجد الذي يقتل ثمّ يُرمى برأسه في المسجد للمصلّين. لم يحدث مثل هذا في أي طائفة من الطوائف، ولا في أيّ مكان من الأمكنة، ولكن لأنّ الدم الإسلامي رخص، رخصت دماؤنا وهانت أنفسنا، هُنّا نحن على أنفسنا فهنّا بعد ذلك على الناس.

الأمّة التي تتكوّن من أكثر من مليار من البشر، أين هي؟ أين مؤسّساتها؟ أين حكوماتها؟ أين الجامعة العربيّة؟ أين منظّمة المؤتمر الإسلامي؟ أين المسلمون؟ أين العلماء؟ أين المنظّمات؟ ألا تستطيع الأمّة أن تفعل شيئاً؟

الحج مؤتمر إسلامى:

نحن الآن فى موسم الحج، والحج له هدفان: هدف شخصى، وهدف جماعى. الهدف الفردى أنّ كلّ مسلم يتطهر ويغتسل من ذنوبه برحلة الحج.. هذه الرحلة الخيّرة.. الهجرة إلى الله عزّ وجلّ، يعود منها مولوداً جديداً، يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، يبنى حياته من جديد على أساس توبة نصوح، بعد أن وقف هناك فى عرفات وطاف ببيت الله، وهبّت عليه الذكريات الإبراهيميّة من بعيد، والذكريات المحمديّة من قريب. هذا الجانب الفردى.

ولكن هناك جانب اجتماعى وسياسى للأمّة، يدخل فى قوله تعالى: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**﴾ [الحج: ٢٨] جعل الله من حكمة الحج أن يشهد المسلمون منافع لهم، ويذكروا اسم الله. والعجيب أنّ الله تعالى قدّم شهود المنافع على ذكر اسم الله، حتى يتنبّه لذلك المسلمون. وليس المراد بالمنافع: المنفعة الشخصيّة فقط.. أن يتاجر بعض النّاس، لكن منفعة الأمّة قبل ذلك. هذا المؤتمر الربانى الذى لم يدع إليه ملك أو رئيس أو حاكم، وإنّما دعا إليه ربّ العالمين فى أطهر بقعة، وحول بيت الله، وفى أرض حرام وفى بلد حرام وفى شهر حرام.

الله هو الذى دعا إلى هذا المؤتمر، لماذا؟ أليجتمع المسلمون ويلبّوا ويكبّروا ثم يعودوا إلى بلادهم، دون أن يجلس بعضهم إلى بعض ليتشاوروا ويتدارسوا ويأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر؟

لماذا لا يتخذ المسلمون من شعيرة الحج أداة لبحث أمورهم ومشكلاتهم الكبرى على الأقل؟

إنّ إخواننا فى البوسنة والهرسك يحتاجون الآن إلى اللقمة تمسك رمقهم.. إلى الثوب يستر عورتهم.. إلى أىّ شىء. لو أنّ كل حاج من الذين يحجون - حوالى مليونين - دفع ضمن ما يدفع مائة ريال، لاجتمع لنا مائتا مليون ريال

بأسهل السهولة. بدل أن يشترى ما يشترى من الهدايا، يستغنى عن بعض الهدايا، يوفّر في بعض النفقات، يدّخر في مأكله ومشربه، لا داعي للترفّه، لو فعل ذلك نستطيع أن نفعل الكثير.

لماذا لا يتنادى المسلمون ليقوموا بشيء من أجل إخوانهم؟

يتجرّأ الناس علينا لأنّ الأمّة الإسلاميّة أصبحت تُضرب في أمّ رأسها وفي الصميم من قلبها، ولا يتحرّك لها أحد.

قلت في الجمعة الماضية: ليس لنا معتصم نقول له: وامعتصماه، بل نقول ما قال الشاعر يندّد بأولئك الذين ولاّهم الله أمر المسلمين:

ربّ، وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتّم
لامست أسماعهم لكنّها لم تلامس نخوة المعتصم

لا نقول: وامعتصماه، بل نقل ما قال ذلك القائد المملوكي في تلك المعركة الحاسمة مع التتار.. معركة عين جالوت، نقول ما قال سيف الدين قطز: وا إسلاماه.. وإسلاماه، الإسلام الذي يطعن في كلّ مكان ولا يجد الأمّة التي تقف من ورائه، وتحمي ظهره، وتشدّ أزره.

الأمة ومرحلة الغثائية:

لسنا قليلاً بل نحن كثير، ولكنّ الأمر ليس بالكَمّ، ولكنّه بالكَيْف، هذا ما عرّفنا إيّاه رسول الله ﷺ ونبهّنا عليه في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها [تتداعى عليكم الأمم من كلّ أفق، من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب، رغم اختلاف عقائدها، واختلاف اتجاهاتها، واختلاف أجناسها، واختلاف ألوانها، واختلاف ألسنتها، تتداعى عليكم الأمم: يدعو بعضها بعضا، إمّا بلسان المقال، أو بلسان الحال، قد لا يقولون ذلك علانية، ولكن تشابهت قلوبهم ﴿ **أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [الذاريات: ٥٣] جمعتهم العداوة

للمسلمين. [قال قائل: يا رسول الله، ومن قلّة يومئذ؟ [ما الذى يطمع هذه الأمم فينا، الآن ونحن قلّة فى الأرض بالنّسبة لأمم الكفر قد نصرنا الله عليهم وأعزّ جنده ونصر حزبه وأنجز وعده وهزم أحزاب الكفر وحده، هلّ ستقلّ الأمّة بعد ذلك قلّة بحيث يطمع عدوّها فيها؟] قال: لا بل أنتم كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السيل [النّبىّ عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إنّ الله أعلمه بما هو كائن، فترجم عن ضمير الغيب ونطق بلسان القدر، كأنه يرى واقعنا أمام عينيه مجسّماً مجسّداً: «لا بل أنتم كثير» هل هناك أكثر من الألف مليون أو ألف ومائتى مليون كما تقول الإحصائيّات عن المسلمين؟ «ولكنّكم غثاء كغثاء السيل» غثاء السيل: ما يحمله السيل- حينما يتدفّق بغير هدف- من العيدان والأغصان والأوراق والحطب والأشياء المختلفة، هذا هو الغثاء. تجمع هذا الغثاءَ صفاتٌ معينّة: الخفّة والسطحيّة وعدم التجانس بين أنواع الغثاء وأشيائه بعضها مع بعض، وعدم الهدف، لأنّ السيل لا هدف له، النّهر له هدف ومجرى مرسوم، أمّا السيل فيذهب هنا وهناك. فالأمّة فى مرحلة الغثاء تفقد التجانس بين أبنائها بعضهم وبعض.. بين أقطارها.. بين حكامها.. بين مفكّريها.. بين مربيّها، مع السطحيّة والخفّة وفقدان الهدف، لأنّ الهدف هو الإسلام، فإذا ابتعدت عن الإسلام تعدّدت أهدافها ولم تجتمع على هدف واحد].

ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله فى قلوبكم الوهن [كان المسلمون يُنصرون بالرعب وبينهم وبين الأعداء مسيرة شهر، بطولات المسلمين وانتصاراتهم تسبقهم فى كلّ مكان فتملأ قلوب الأعداء رعبا، فيستسلمون للمسلمين دون قتال قط أو دون قتال يذكر، ولكن فى عصرنا هذا الذى نبّأ عنه رسول الله ﷺ ينزع الله مهابة المسلمين من صدور عدوّهم فلا يبالون بهم، ألف مليون! ولكن ما قيمة ألف مليون كما قال الشاعر:

يزحمون الأرض من كثرتهم ثمّ لا يغنون فى أمر جلل؟!

ما قيمة ألف مليون وهم كما قال الشاعر الآخر:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلّهم ... الله يعلم أنّي لم أقل فَنَدا!

إنّي لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا!

العبرة ليست بالكمّ.. ليست بالأعداد، مَنْ في هذه الأعداد مستعدُ أن يبذل ماله، ويبذل نفسه، ويبذل وقته من أجل الإسلام؟ رأينا مئات الآلاف من دعاة التنصير- رجالاً ونساءً- يَدَعُون بلادهم وأوطانهم وبيوتهم ومنازلهم المكيفّة ليذهبوا إلى الغابات والأدغال والبلاد البدائيّة، يعيشون أدنى عيشة من أجل نصرة المسيحيّة - كما يقولون- فماذا بذلنا نحن؟].

قال قائل: يا رسول الله وما الوَهْن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت»[1]، سأل الصحابة عن الوّهْن، لا يسألون عن معناه اللغوى، معناه اللغوى يعرفونه: الوهن هو الضعف، ولكنّهم يسألون عن سرّه.. عن علّته، ما سبب هذا الضعف؟ فأشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى أنّ سببه نفسي، ليس مادياً ولكنّه كامن في داخل النفوس، ضعف الأمّة من داخلها، إنّه: «حبّ الدنيا وكراهية الموت»، كلّ إنسان يقول: دنياي ومصلحتي.. نفسي نفسي، أصبحت الدنيا صنماً يتعبّد له الناس، أصبحت المصالح المادية هي التي يطوف الناس من حولها ويلهثون خلفها، «حبّ الدنيا وكراهية الموت» ليس هناك من يريد أن يبذل نفسه.. أن يضّحي بروحه من أجل عقيدته، كان خالد بن الوليد يقول لقوّاد الفرس والروم- يدعوهم إلى الإسلام وإلى كذا وإلى كذا، ثمّ يختم رسالته بقوله -: (وإلاّ غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبّون الحياة)! أحبّوا الموت في سبيل الله وحرصوا عليه فوهبت لهم الحياة. أمّا نحن فحبّ الدنيا وكراهية الموت هو الذي أضعفنا.

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد عن ثوبان رضي الله عنه (شرح السنة للبغوي بتحقيق الأرناؤوط: ١٥/١٦، الحديث ٤٢٢٤.

لابد من عودتنا للإسلام:

أيّها الإخوة المسلمون:

إنّ المسلمين فيِ محنة فيِ كلّ مكان، الحرب حرب إبادة وتصفية للأمّة الإسلاميّة، لا تستهينوا بما يكاد لنا، من كان يظنّ أنّ مجموعة من اليهود مشرّدين فيِ العالم من شُذّاذ الآفاق يستطيعون أن يقيموا دولة فيِ قلب بلاد العروبة والإسلام، وأن يكون لهذه الدولة من القوّة ما تغلب به جيوشاً عربيّة متعدّدة، وأن تتحدّى العالم؟ من كان يظنّ ذلك؟ ما كان أحد يظنّ ذلك.

ولكن لا يقوم الباطل إلاّ فيِ غفلة الحق، ما دام المسلمون غافلين، وما دام المسلمون متفرّقين، وما داموا مشغولين بعضهم ببعض. هكذا أراد أعداؤنا أن يمزّقونا إرْبا إرْباً.. أن يفرّقونا تفرّقات شتّى: تفرّقات عنصريّة، وتفرّقات إقليميّة، وتفرّقات طبقيّة، وتفرّقات مذهبيّة، وتفرّقات سياسيّة، تفرّقات من كلّ ناحية حتى لا يلتئم شمل الأمّة بعضها مع بعض.

إنّنا يجب أن نقف لهذه الفتن بالمرصاد، وأن نوعّيِ أمتنا بما يكاد لها من مكر الماكرين وكيد الكائدين، والله من ورائهم محيط.

سنظلّ نصرخ، سنظلّ ننادىِ بالعودة إلى الإسلام، ولا نجاة لنا إلاّ بالإسلام، نقول ما قاله ابن الخطّاب من قديم: إنّا كنّا أذلّ قومٍ فأعزّنا الله بالإسلام فمهما نلتمس العزّ بغيره أذلنّا الله.

سنقولها ولو اتهمنا بالرجعيّة كما كنّا نتهم من قبل، أو بالتطرّف كما اتهمنا فيِ فترة من الفترات، أو بالأصوليّة كما يقولون الآن. ما الرجعيّة؟ وما التطرّف؟ وما الأصوليّة؟ إن كان كلّ من يدعو إلى الإسلام.. إلى القرآن.. إلى السنة.. إلى تحكيم الشريعة.. إلى توحيد الأمّة فيِ وجه عدوّها.. إلى الوقوف فيِ وجه المؤامرات.. إلى استعادة الشخصيّة الإسلاميّة، إن كان من يدعو إلى ذلك رجعيّاً أو متطرّفاً أو أصوليّاً، فاللهمّ أحينيِ أصولّياً وأمتنى أصوليّاً واحشرنيِ فيِ

زمرة الأصوليّين. اللهم أحيني رجعيّاً وأمتني رجعيّاً واحشرني في زمرة الرجعيّين!

إن كان هذا هو الرجعيّة، فلا تهمنّا الأسماء والعناوين والاتهامات، إنّما يهمنّا الحقائق.

نحن نريد العودة إلى الإسلام الصافي.. الإسلام النقي.. الإسلام الأوّل.. إسلام القرآن والسنّة.. إسلام الصحابة والتابعين، بعيداً عن تزمّت المتزمّتين، وتحلّل المتحلّلين، وتطرّف المتطرّفين، وتسيّب المتسيّبين.

الإسلام الوسط للأمّة الوسط، هذا ما ندعو إليه، ونعضّ عليه بالنّواجذ، ونستمسك بعروته الوثقى لا انفصام لها، نعيش على ذلك، ونعاهد الله أن تموت عليه، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أيّها الإخوة المسلمون:

إخوانكم في البوسنة والهرسك يتعرّضون لإبادة، ولمذابح، وفي حاجة إلى المعونة على كلّ مستوياتها، فلابدّ أن نبذل ولا نبخل عليهم، كلّ يستطيع أن يبذل ما يقدر عليه، والقليل على القليل كثير، ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزّمّل: ٢٠]، ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤيّد إخواننا بروح من عنده، وأن يمدّهم بملأ من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلأهم في كنفه الذي لا يضام، وأن ينتقم من أولئك المجرمين المتوحشين الذين يسومونهم سوء العذاب.

OBEIKAN.COM

اللهم أنزل على أولئك الصربيّين الحاقدين بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر. اللهم رُدّ عن إخواننا كيدهم، وفُلّ حدّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في لبنان، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في بورما، وانصر إخواننا في جنوب السودان، وانصر إخواننا في كلّ مكان. اللهم خُذ بأيديهم إلى مواطن النّصر، وافتح لهم فتحاً مبينا، واهدهم صراطاً مستقيما، وانصرهم نصراً عزيزاً.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمّ آمين.

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن شاء الله سندعو بعد الركعة الثانية بدعاء القنوت.. قنوت النّوازل.

* * *

(١٨) المسلمون فيِ أمريكا الجنوبيّة

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فيِ الإجازة الماضية كنت فيِ زيارة للمسلمين فيِ قارّة أمريكا الجنوبيّة.. أمريكا اللاتينيّة، وفى دولة البرازيل خاصّة، حيث كان هناك مؤتمر للجمعيّات الإسلاميّة فيِ تلك القارّة، حضره ممثلون من أربع عشرة دولة.

ولا بأس أن أحدّثكم عن بعض ما رأيت وما لمست وما سمعت، فالمسلمون أمّة واحدة يسعى بذمّتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، و «من لا يهتّم بأمر المسلمين فليس منهم»[١].

المسلمون فيِ تلك القارّة مهاجرون. معظمهم مهاجرون من بلاد الشام، وخاصّة من لبنان وسوريا. بعضهم هاجر من القرن الماضيِ، وبعضهم هاجر من أوائل هذا القرن، وبعضهم هاجر منذ عشرات السنين.

مسوغات الهجرة فى الإسلام:

والإسلام لا يمنع المسلم أن يهاجر ما دامت هجرته مشروعة. شرع الإسلام الهجرة لطلب العلم، وقد جاء فيِ الحديث: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحييِ به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فيِ الجنّة درجةٌ واحدة»[٢]. قد ارتحل المسلمون فيِ الزمن الأوّل لطلب العلم، وضربوا أروع الأمثلة فيِ الارتحال وقطع

---

(١) رواه الطبرانى من رواية عبد الله بن أبيِ جعفر الرازى وهو مختلف فيه. وتتمّته: «من لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامّة المسلمين فليس منهم» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢/ ٥١٤ برقم ٩٩٧).

(٢) قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٩): أخرجه الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلّمين من حديث الحسن، فقيل: هو ابن على، وقيل: هو ابن يسار البصرى مرسلاً.

الفيافي والقفار، من أجل طلب العلم من أهله، وقد شاع بين النّاس حديث يقول: «اطلبوا العلم ولو بالصين»(١) وليس هذا مرفوعاً إلى النبى ﷺ، ولكنّه قول مأثور عن المسلمين الأوائل، أى مهما كلّفك طلب العلم فلا تبخل ولا تضنّ بالجهد ولا بالمال، اطلب العلم فى أىّ مكان وجدته، والتمس الحكمة من أىّ وعاء خرجت «والحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ النّاس بها»(٢).

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الرزق: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزّمّل: ٢٠].

لا حرج على المسلم أن يضرب فى الأرض، ويمشى فى مناكبها مشرّقاً ومغرّباً، يطلب الرزق الحلال إذا ضاق رزقه فى بلده، فأرض الله واسعة، يقول الشاعر:

بلاد الله واسعة فضاها ... ورزق الله فى البلدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

---

(١) قال المناوى: أى ولو كان إنّما يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جداً كمدينة الصين فإن من لم يصبر على مشقة التعلم بقى عمره فى عماية الجهال ومن صبر على عليها آل عمره إلى عزّ الدنيا والآخرة.

والحديث رواه البيهقى وابن عدى والعقيلى والخطيب وأبو يعلى وابن عبد البر والديلمى وغيرهم عن أنس بن مالك، قال البيهقى: متنه مشهور وأسانيدة ضعيفة، بل قال ابن حبان: باطل لا أصل له، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، ونوزع بقول الحافظ المزى له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن، وبقول الذهبى فى تلخيص الواهيات روى من عدّة طرق واهية وبعضها صالح. انظر: (فيض القدير للمناوى: ١/٥٤٢ برقم ١١١٠) و(كشف الخفاء للعجلونى: ١/ ١٣٨ برقم ٣٩٧) و(الإحياء مع تخريج العراقى: (١/٩).

(٢) ولفظه فى الجامع الصغير: «الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها». رواه الترمذى فى العلم وابن ماجة فى الزهد، عن أبى هريرة. ورواه ابن عساكر والقضاعى، عن على. قال الترمذى: غريب. ورمز السيوطى لحسنه. وقال العامرى: غريب. انظر: (فيض القدير للمناوى: ٥/٦٥ برقم ٦٤٦٢).

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الأمن.. للفرار بالنفس من الفتن الذى تصيب الإنسان فى دينه أو فى دنياه، فلا يجوز للمسلم أن يبقى فى مكان يُهان فيه ويظلم ولا يستطيع أن يرد الظلم عن نفسه، ولا يجد من يدافع عنه. ولا يجوز للمسلم أن يبقى فى مكان لا يستطيع ان يقيم فيه شعائر دينه، ينبغى عليه أن يهاجر.

الهجرة التى أعلن النبى ﷺ أنّها انقطعت بعد الفتح هى الهجرة الى مكّة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة، وإذا استنفرتم فانفروا»(١) أى لا هجرة إلى المدينة بعد أن فتحت مكة، وأمن الناس، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وجاء نصر الله والفتح. هنا لم تعد الهجرة إلى المدينة فرضاً واجباً.

الهجرة فراراً بالدين:

ولكن الهجرة من أماكن الظلم والكفر والبدعة والفسوق، هذه هجرة مفتوحة الأبواب إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء: ٩٨– ٩٩].

فلا يجوز للمسلم أن يظل فى مكان يظلم فيه نفسه، لا يستطيع فيه أن يقيم دينه، لا يستطيع فيه أن يحتفظ بحرّيّة نفسه فى العبادة، لا يستطيع أن يدفع عن حياته وعن أهله وعرضه ودينه. أرض الله واسعة: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت: ٥٦] عليه أن يتنقّل.

والنبى ﷺ رغم حبّه لمكّة البلد الحرام، بلد البيت الحرام، أضطرّ أن يهاجر

---

(١) رواه البخارى، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، عن مجاشع بن مسعود، وانظر: (فيض القدير للمناوى: ٦/ ٤٣٨ برقم ٩٩٢٧).

منها ليجد مكاناً أخصب لدعوته ورسالته، ولهذا حينما خرج مهاجراً التفت إلى مكّة وقال لها: «أما إنّك أحبّ بلاد الله إلى الله وأحبّ بلاد الله إلىّ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت».

الإنسان يضطرّ إلى أن يغادر وطنه ومسقط رأسه، إذا كان لا يجد فى وطنه الأصلى ما يقيم له الحياة الطيبة الكريمة. يقول الشاعر:

وإذا البلاد تغيّرت أحوالها فدع البلاد وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجبا فى موطن يدع العزيز ذليلا

لكن هذا حينما تضيق بالإنسان الأحوال، ولا يجد مناصاً من الهجرة.

المفروض فى المسلم أن يقاوم الباطل، وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر، وأن يحاول ما استطاع أن يغيّر السوء، وأن يتعاون فى ذلك مع إخوانه، وأن يضع يده فى أيديهم، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوىّ بجماعته. ولكن حينما لا يجد على الخير أعوانا، ولا يجد يداً له على تغيير الشر، ويخاف على نفسه وأهله، هنا تُشرع له الهجرة.

المهمّ أنّ الإسلام شرع الهجرة.

انتشار الإسلام عن طريق هجرات المسلمين:

ومن أجل ذلك وجدنا من المسلمين من هاجر إلى بلاد شتّى، ولا حرج على ذلك، إذا استطاع المسلم أن يحتفظ بعقيدته وبإسلامه، أن يحتفظ بالإسلام حيّاً دافقاً، يوجّه سلوكه ويسود حياته، ويسيطر على فكره وشعوره، هذا هو الواجب فى المسلم. فالمسلم حيثما ذهب لا يتخلّى عن دينه: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله». الإسلام ليس فى المشرق فقط، الإسلام فى المشرق والمغرب، الإسلام حيثما كان المسلم، هو الذى يقيم الإسلام بإقامته فى المكان.

وقد عرفنا مسلمين هاجروا فى الأزمنة الأولى، فلم يحتفظوا بإسلامهم فقط، بل نشروا نور الإسلام حيثما حلّوا، وهدى الله بهم أمماً وشعوبا، فدخلوا فى

الإسلام أفواجاً أفواجا. ولم يكن هؤلاء علماء ولا دعاة، بل كانوا تجاراً ومحترفين وأناساً عاديين!

مساهمة أخلاق المسلمين فى نشر الإسلام:

ذهب إخوتنا من أهل الجنوب من حضرموت من اليمن، إلى ذلك المشرق الأقصى.. إلى تلك البلاد النائية فى أندونيسيا وما حولها، فأقاموا الإسلام هناك، وعرف النّاس منهم هذا الدين الجديد، فدخل النّاس فى دين الله على أيديهم. تعلّم النّاس الإسلام، وصار للمسلمين هناك مئات الملايين، دون أن يدخل هناك جيش. لم تذهب هناك الجيوش الإسلامية، ولم يذهب هناك دعاة محترفون، إنّما ذهب هؤلاء المسلمون تجاراً ولكنهم مسلمون. ينظر النّاس إليهم فيجدون أخلاقاً جديدة، ويجدون سلوكاً جديدا، يجدون أناساً ربانيّين إذا جاء وقت الصلاة وقفوا لله خاشعين راكعين ساجدين، لا يكذبون فى قول، ولا يخونون فى معاملة، ولا يقدمون على باطل، ولا يجترئون على شرّ. يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم، يعينون الضعيف ويغيثون الملهوف. سألوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. قالوا: وما الإسلام؟ قالوا: الإسلام كذا وكذا وكذا، فدخل النّاس فى هذا الدين، أحبّوا الدين بحب هؤلاء النّاس.

الإسلام إنّما ينتشر من خلال أبنائه، لا ينتشر الإسلام بمجرّد الخطب، ولا بمجرّد الكلام، ولا بمجرّد رسائل تنشر، وإن كان لابد من هذا. ولكن قبل كلّ شيىء ينتشر الإسلام من خلال أشخاص يمثّلون قدوات للنّاس، يجسمون الإسلام فى حياتهم وسلوكهم.

هذا هو العنصر الأول المؤثر.

المسلم يهاجر فيحتفظ بإسلامه، بل أكثر من ذلك ينشر إسلامه فى المحيط الذى يحلّ فيه، وعلامة المؤمن الصالح أن يترك فى كلّ مكان يحلّ فيه أثراً صالحاً. لتعرف صلاح الرجل تنظر: هل ترك أثراً صالحاً فى هذا المكان يشهد له يوم القيامة؟ هل عمل خيراً أو قدّم شيئاً للنّاس يشهد له عند الله؟ هذا هو شأن الإنسان المسلم.

كان المسلمون المهاجرون الأوائل من هذه النّماذج الصالحة، التى تترك وراءها آثاراً صالحة تشهد لها عند الله، وتشهد لها عند النّاس. سجّل لهم التاريخ ذلك، وسجّل لهم الكرام الكاتبون فى صحائف أعمالهم التى لا تبلى.

ذوبان المسلمين فى المجتمعات الغربية:

ماذا صنع المهاجرون فى عصرنا إلى هذه البلاد؟

للأسف، لم يصنعوا ما صنع أولئك الحضارمة التجار وأمثالهم.

هناك منهم من ذاب فى المجتمع كما ذاب الملح فى الماء. المهاجرون الأوائل فى كثير من تلك الدول فى أمريكا اللاتينيّة ضاع أولادهم. لقد ذهبوا يطلبون الرزق.. يبحثون عن المال، وذهبوا فرادى فى أوّل الأمر، فتزوّجوا من ملّتهم، فكانت النتيجة أن شبّ أبناؤهم وبناتهم على دين أمّهاتهم، شبوّا على دين النّصرانيّة، وهذا هو الخطر. الخطر أن يتزوّج المسلم من غير مسلمة فى مجتمع غير مسلم، وهذا ما كتبت فيه وحذرّت منه[1].

الإسلام حينما أجاز للمسلم أن يتزوّج كتابيّة، أجاز ذلك حينما يكون سلطان المجتمع الإسلامى قوياً، حينما يكون الإسلام هو الذى يحكم، والإسلام هو الذى يسود، بعقائدة وقيمة وتعاليمه وشرائعه، هنالك حينما يتزوّج المسلم غير المسلمة، تتأثر ولا تؤثّر، وتنفعل ولا تفعل، فإذا لم تدخل فى الإسلام متأثّرة بالجوّ الإسلامى، فلن تستطيع أن تؤثّر فى زوجها ولا فى أولادها.

ولكنّ الخطر أن يتزوّج المسلم فى مجتمع غير مجتمعه، وينشأ له أولاد، هؤلاء الأولاد فى مجتمع عقيدته غير عقيدة المجتمع الإسلامى، مفاهيمه غير مفاهيم المسلمين، تقاليده غير تقاليد المسلمين، لغته – حتى اللغة – مخالفة، هنا الخطر. والأب مشغول طول النّهار بكسب الرزق، فهو يكدّ ويكدح، ولا

---

(١) انظر فتوى الشيخ (زواج المسلم بغير المسلمة) المنشورة فى الجزء الأوّل من كتابة (فتاوى معاصرة) ص ٤٦٢ – ٤٧٦.

يكاد يرى ذرّيته. هنالك تتولىّ الأمّ غرس ما تريد من عقائد وأفكار فى أنفس هذه الذّرّيّة، الرطبة الطريّة، هى لوح يُنقَش فيه ما تشاء الأمّ، هذه هى الخطورة. ضاع كثير من الذرية بهذا.

وهذا ما لمسته أيضاً حينما زرت قارّة استراليا فى الصيف الماضى. قالوا لى: إن أوّل المهاجرين إلى هذه البلاد كانوا من الأفغان، جاءوا بهم ليبنوا وليقوموا بأعمال صعبة، ولكنّهم جاءوا فرادى أيضاً، رجالاً بدون نساء، فاضطرّوا أن يتزوجوا من غير دينهم. فكانت النتيجة أن الجيل الأوّل احتفظ بدينه وعقيدته، وبنوا مساجد لا تزال قائمة. ولكنّ الأجيال التالية لم تستطع أن تحتفظ بهذا، هذا هو الخطر، الخطر هو ضياع الذّرّيّة.

مشكلة الأبناء فى المهجر:

المشكلة الكبرى فى المهاجرين هو الخوف على الأبناء.. الخوف على الأولاد.. الخوف على الذرية. ولذلك قلت لهم – وقلت لمن قبلهم للمهاجرين فى استراليا والمهاجرين فى أمريكا الشمالية والمهاجرين فى أوروبّا –: من لم يستطع منكم أن يحافظ على أبنائه وبناته مسلمين ومسلمات، فلا بقاء له فى هذه الديار، ولا يجوز له أن يظلّ يوماً واحداً، من لم يستطع أن يحافظ على دين ذريته فليبدأ رحلة العودة من الغد. لأنّه لا خير فى هجرة تكسب منها مالاً وتخسر بها أولادك، تكسب الدنيا وتخسر الدين، بئست الصفقة إذن. إذا استطعتم – هكذا قلت للمسلمين – أن توجدوا مجتمعاً صغيراً لكم داخل المجتمع الكبير، تحتفظون فيه بعقائدكم وشعائركم وتقاليدكم فابقوا، وإلاّ فلا بقاء لكم.

الإنسان يتعلّم من عدوّه، واليهود فى تلك القارات الكبيرة أقلّيّة صغيرة، ولكنّها استطاعت أن تعيش وأن تبقى وألاّ تنماع ولا تذوب فيها، لماذا؟ لأنّهم حرصوا على أن ينشئوا لهم داخل المجتمع الكبير مجتمعاً صغيراً خاصّاً بهم، عن طريق (حارة) اليهود، ذلك المجتمع المغلق.. ذلك المصنع الذى يصوغ العقلية

اليهودية والنفسيّة اليهودية، عن طريق تعاليم التوراة وأحلام التلمود. بهذا استطاع هؤلاد القوم أن يؤثّروا ولا يتأثّروا، وأن يعيشوا فى مجتمعات ضخمة دون أن يذوبوا فيها. بل خطّطوا أن تكون عناصرهم هى المؤثّرة فى هذه المجتمعات الكبيرة، ونجحوا إلى حدّ بعيد بعيد.

ولكنّ المسلمين – للأسف – فى كثير من المجتمعات ذابوا.

المهاجرون الجدد منذ أربعين أو خمسين سنة بدأوا يفكرون فى الأمر، وبدأوا ينشئوون جمعيّات إسلاميّة للحفاظ على أنفسهم وعلى أولادهم، وهذا هو الواجب.

ما يجب على المسلمين فى المهجر:

الواجب على المسلمين، أن يحافظوا على أنفسهم عن طريق العمل الجماعى، الإنسان وحده فى وسط هذه المجتمعات لا يستطيع أن يحتفظ بنفسه، إنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، الذئب لا يأكل الشاة فى وسط القطيع، هى فى داخل القطيع محميّة به، ولكنّه يظلّ يتربّص وينظر حتى إذا وجد شاة شردت عن القطيع انفرد بها فالتهمها، هذا هو المخوف. ولذلك أوصانا النبى ﷺ بالجماعة: «يد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النّار»(١).

حاول المسلمون أن ينشئوا الجمعيّات، وينشئوا المساجد التى يحتفظون فيها بدينهم. ولكن هناك وجدنا حائلاً وحاجزاً آخر، هذا الحاجز: أنّ كثيراً من أبنائهم لم يحافظوا على لغتهم، ففقدوا اللغة العربيّة، وتكلّموا اللغة البرتغاليّة – لغة البرازيل – أو اللغة الأسبانية – لغة بقية الدول فى أمريكا اللاّتينيّة – وفقدان اللغة العربية أمر خطر، لأنّه يحول بين النّاشئة المسلمة وبين قراءة قرآنها، وتلاوة أحاديث نبيّها، والسماع لخطبة فى المسجد أو موعظة أو درس. وأكثر الدعاة

---

(١) رواه الترمذى عن ابن عباس وقال: غريب، قال ابن حجر: لكن له شواهد كثيرة منها موقوف صحيح (فيض القدير للمناوى: ٦/٤٥٩ – ٤٦٠ برقم ١٠٠٤).

والخطباء لا يعرفون تلك اللغة، لأننا للأسف لم نعدّ العدّة لمثل هذا الأمر، ليس عندنا مؤسّسات على مستوى عالمى تعدّ العدّة وتهيّىء الأهبة لمثل هذه الأحوال، فتبعث دعاة يتكلّمون بالبرتغاليّة وباللاّتينيّة وبكلّ اللغات، وهذه أيضاً إحدى المشكلات: ليس عندنا مؤسّسات ترعى المهاجرين.

المهاجرون الذين هاجروا من الشام من غير المسلمين كانت مؤسّساتهم الدينيّة وراءهم، تمدّهم وترعاهم، وتبعث إليهم بالقسّيسين والدعاة، وتربطهم بالكنيسة الأمّ، مع أنّهم ذهبوا إلى مجتمع غير مخالف لهم فى عقيدتهم.. مجتمع يدين بدينهم، ومع هذا لم يهملوهم.

ولكنّا نحن المسلمين أضيع من الأيتام فى مأدبة اللّئام، فقدنا الخلافة التى كانت تضمّ شمل المسلمين فى العالم، ولم يوجد عندنا بديل، ليس عندنا كهنوت، ليس عندنا إكلروس، ليس عندنا بابويّة، فلم يعد هناك مؤسّسات إسلاميّة ترعى هذا الأمر.

ولذلك كان الخطر كلّ الخطر فى فصل الدولة عن الدين فى الإسلام، لأنّ فصل الدولة عن الدين فى النّصرانيّة، مثلاً – لا يضرّ كثيراً، لأنّ لهم مؤسّسات دينية ذات سلطات وإمكانات ضخمة، تستطيع أن تقوم بأمرها، ولكنّنا لسنا عندنا هذا فإذا انفصلت الدولة عن الدين بقينا فى فراغ، وهذه هى الخطورة التى نعانيها اليوم، لا خليفة لنا ولا بابا ولا جمعيّات إسلامية على مستوى العالم، ماذا نفعل؟ هذه هى الخطورة.

آفة التفرق والاختلاف:

المسلمون يحاولون أن يصنعوا شيئاً فى تلك الآونة، ولكنّ آفتهم أيضاً فى تلك الديار هى آفة المسلمين فى كلّ مكان: التفرّق والاختلاف.

الأقليات فى العالم كلّه تتساند وتتكاتف وتتعاون لتحافظ على وجودها أمام الأكثرية، هذا ما نشاهده ونلمسه ونسمعه ونقرأه عن كلّ الأقليات فى العالم، إلاّ الأقليات الإسلامية!

ما وجدنا ديناً يجعل الوحدة إيماناً والتفرّق كفراً مثل الإسلام. ما وجدنا ديناً يحضّ على الوحدة والتضامن، ويريد من المسلمين أن يكونوا كالبنيان يشدّ بعضهم بعضا، وكالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر، ما وجدنا ديناً كالإسلام يحضّ على هذا، وما وجدنا جماعة كالمسلمين بينهم وبين الإسلام مراحل ومراحل فى هذه النّاحية!.

داء المسلمين حيثما وُجدوا هو الاختلاف فيما بينهم، هكذا وجدناهم فى كلّ مكان. حتى الأقليات الكبرى.. الأقليات الضخمة كالأقلية الإسلامية الهنديّة مثلاً، المسلمون فى الهند أقلية ولكنّهم يقاربون المائة وخمسين مليوناً! أى يقاربون عدد المسلمين فى العالم العربى! ولكنّهم متفرّقون فيما بينهم، هذا ديوبندى، وهذا دلهوى، وهذا صوفى، وهذا سلفى، وهذا من الجماعة الإسلاميّة، وهذا من جماعة الندّويين، وهذا، وهذا، مختلفون فيما بينهم.

مشكلة المسلمين حيثما ذهبوا هو هذا الاختلاف، أنّهم متفرّقون، والله تعالى يقول: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ومع هذا يتفرّق المسلمون ويختلفون فيما بينهم، من أجل ماذا؟ لا أدرى. علام يختلفون؟ جمعيّات مختلفة، كلّ قرية تكاد تكون لها جمعيّة، كلّ عائلة وما حولها من أقاربها تكاد تكون لها جمعيّة، كلّ جماعة يريدون أن يكونوا هم الزعماء! هذا هو الخطر.

ولذلك قلت لهم: حبّذا لو أخليتم الطريق للشباب من ورائكم، دعوا هذه الزعامات والوجهات وأعطوا العمل للشباب. العمل الإسلامى فى أمريكا الشمالية فى يد الشباب الملتزم المتحمّس، ولذلك قاد السفينة بجدارة وإيمان. أمّا هؤلاء الذين يتنافسون على الزعامة والوجاهة والرئاسة، فلم يستطيعوا أن يصنعوا شيئا.

الإسلام قوىّ، ولكنّ المسلمين ضعفاء، هذه هى الآفة. الإسلام أعظم دين، ولكنّه لا ينتصر بغير رجال. لقد صدق الرجل الذى قال كلمته – حينما قرأ عن الإسلام –: ياله من دين لو كان له رجال! الإسلام إنّما ينتصر بالرجال، وللإسلام ألف مليون فى العالم، ولكن أين الرجال منهم؟ أين الذين ينتصرون له، ويبذلون له، ويعيشون له، ويموتون عليه؟ أين هؤلاء؟

فى البرازيل وجدت معظم المدن اسمها:

سان كذا.. سان بولو.. سان برناردو، أى أن هذه المدن تحمل أسماء قدّيسين وقسّيسين، هؤلاء سميّت بأسمائهم المدن، ولعلّهم كان هناك منهم من كان، أى أنّ الطابع الدينى النّصرانى ثابت واضح هناك، بعد أن هُزم المسلمون فى الأندلس، انداح هؤلاء النّاس وذهبوا إلى تلك البلاد. كان يمكن أن تكون هناك هذه القارّة إسلاميّة، حاول المسلمون أن يصلوا إلى هذه القارّة وكادوا، بل إنّ المسلمين هم الذين كانوا الأدلّة للذين وصلوا إلى أمريكا الجنوبيّة وإلى أمريكا الشماليّة. كانوا الأدلّة لهؤلاء، ولكن قدّر الله أن يأتى ذلك فى عصر كان المسلمون فيه فى إدبار، وكان أولئك القوم فى إقبال، بدأنا ننام وبدأوا يستيقظون، فأخذوا دفّة السفينة، وتغيّر مجرى الريح، ولو قدّر الله شيئاً آخر لكانت هاتان الأمريكيّتان فى يد المسلمين اليوم.

لاندم على ما فات، المهمّ أن نعرف يومنا ونعدّ لغدنا.

ما يجب على المسلمين فى الخارج والداخل:

نحن المسلمين أمام مسؤوليّات كبيرة داخل أوطاننا وخارجها:

لا يجوز أن ينفصل المسلمون فى المشرق عن المسلمين فى المغرب، لا يجوز أن ندع هؤلاء، لابدّ أن يكون هناك تواصل دائم بين المسلمين بعضهم وبعض.

هم قوّة يمكن أن ينتفع بها لو وجّهوا أنفسهم للتأثير فى ذلك المجتمع، كما فعل إخوانهم الذين ذهبوا إلى المشرق قديما.

سألت بعضهم: ماذا علّمتم هؤلاء النّاس فى أمريكا اللاّتينيّة؟ ماذا أخذوا منكم يا من تحملون رسالة الإسلام ودعوة محمّد عليه الصلاة والسلام؟ قالوا: أخذوا منّا أشياء كثيرة، علّمناهم أكل التبوّلة والصفيحة والكبّة وبعض الأكلات وهذه الأشياء! هذا ما علّمه هؤلاء للنّاس هناك! كان الأولى أن يحملوا إليهم الرسالة المنقذة رسالة الإسلام.

ولكن كيف يحملونها وهم أنفسهم لم يكونوا صورة لها؟! وفاقد الشيىء لا يعطيه، وقد ضلّ من كانت العميان تهديه!

إنّ الإسلام فى حاجة إلى رجال، لو وجد هؤلاء الرجال لاستطاع أن ينشر نوره فى العالم، وهو على ذلك قادر، والمسلمون مؤهّلون اليوم أن يحملوا الرسالة، لو أعددنا العدّة وأهّلنا المسلمين من الشباب المخلصين المتحمسّين، وهم موجودون فى كلّ مكان، ولكن كما قال الأستاذ محبّ الدين الخطيب رحمه الله منذ سبعين سنة – كان يرفع هذا الشعار على مجلّته –: المسلمون إلى خير ولكنّ الضعف فى القيادة.

فعسى الله أن يرزق المسلمين القيادة التى تستطيع أن ترى وتحسّ، وتعى، وتوجّه، وتقدر بعد ذلك على التنفيذ.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها.

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *